

مقالة

المنظومة الصاروخية اليمنية في ميزان الردع الاستراتيجي

«العفاريت المرعبة» كما سماها الكاتب البريطاني المعروف ديفيد هيرست، في إشارة إلى اعتقال 11 أميراً وعشرات الوزراء. كما يؤكد القرار اليمني بإطلاق الصاروخ أن المسار المستقبلي في الشهور والسنوات المقبلة سيأخذ مساراً جديدة في الحرب يكون فيها العمق السعودي هدفاً مشروعاً قبالة الغارات الجوية على اليمن، وأن ولي العهد الذي شن الحرب بهدف استئصال «أنصار الله»، إذا بصواريخ هذه الحركة تقض مضجعه بعد أكثر من عامين ونصف عام من بداية الحرب، وهو يوشك الجلوس على كرسي العرش. ردود الفعل السياسية والإعلامية السعودية الشرسة والعنيفة على «محور المقاومة» ولا سيما إيران و«حزب الله» جراء إطلاق الصاروخ ما هي إلا محاولة للهروب إلى الأمام، وذلك للتعمية عن الصراخ الحقيقي من ألم الهزيمة الشديد الوقع أمام صمود الشعب اليمني. فنظام آل سعود الذي كان له اليد الطولى في إفقار اليمن بسبب سوء إدارة قيادته المرتهنة للجنة السعودية الخاصة بالملف اليمني، إذا به يخرج من الوصاية بوجهها القبيح والمذل ليقف بشموخ ويصنع معادلة بقائه وعزته، ويحجز له مكاناً متيناً ورأسخاً في عالم لا يحترم إلا الأقوياء.

وقد وزعت السعودية رد فعلها على أكثر من اتجاه بغية إصابة أكثر من هدف: أولاً: أراد السعوديون ومن يدور في فلكهم التوظيف السياسي بحده الأقصى وبوضع أنفسهم في موقع المعتدى عليهم، لإعطاء التبرير والمشروعية لعدوانهم على اليمن. ثانياً: جزء من الحملة السياسية والإعلامية والتحريضية على محور المقاومة جراء فشلهم المدوي والذريع في كل من سوريا والعراق ولبنان وما لحق بهم من انهيار مشروع حليفهم مسعود البرزاني بالاستقلال عن بغداد. ثالثاً: حرمان الجيش و«اللجان الشعبية» النجاح وتحقيق الإنجازات بادعاء أن من أوصل الصواريخ وأطلقها هم خبراء من إيران والحزب. رابعاً: التوظيف السياسي لعملية إطلاق الصاروخ لتبرير التصعيد تجاه لبنان، مع العلم بأن الحملة السعودية على «حزب الله» ليست وليدة اليوم، بل هي منذ سنوات طويلة ولم تتوقف منذ العدوان الإسرائيلي على لبنان عام 2006 واستمرت بوتيرة متصاعدة منذ بداية الحرب على سوريا. الاتهام السعودي لحركة «أنصار الله» اليمنية بوصفها «حزب الله» اللبناني يشرف الحركة، التي من دون شك درست تجربته وأخذت منها ما يفيدها، كما يشرف الحزب الذي يفتخر دائماً بوقوفه إلى جانب الشعوب المستضعفة والأحرار في العالم.

تراجع في الأسواق المالية العربية

ومؤشر أبو ظبي للأوراق المالية بنسبة 0,4%، ومؤشر «مصر 30» بنسبة 0,1%. وتجاوز التداول على مؤشر السعودية أكثر من 200 مليون دولار للمرة الأولى منذ حزيران الماضي. وتمكنت «تداول» من تعويض معظم خسارتها أمس، كما فعلت يومي الأحد والاثنين. ويرى رئيس أبحاث الأسهم في شركة «يوناييد للأوراق المالية» في مسقط، جويس ماثيو، أنه بقيادة صندوق الاستثمار العام، تقوم الحكومة السعودية بدعم الأسواق: «انظروا إلى الأسواق، كلها انخفضت درجتين مؤبطين أو أكثر في الأيام الثلاثة الماضية، بينما السوق السعودية لا تزال تصمد». وأضاف أن «الحكومة بحاجة إلى إظهار الأمور وكان الأسواق المالية أخذت التغيرات بإيجابية وأن الأعمال على ما يرام في السعودية، في حين أن الواقع يقول غير ذلك».

لقمان عبدالله

لا ينفصل التصعيد الحالي الذي تنفذه السعودية تجاه «محور المقاومة»، بشأن الحرب على اليمن، عن إصرار المملكة على استمرار حربها بحجة منع ظهور «حزب الله» على حدودها الجنوبية، وفق قول ولي العهد السعودي، محمد بن سلمان، وأواخر الشهر الماضي.

الصاروخ الباليستي الذي أصاب مطار الملك خالد بن عبد العزيز في الرياض يعني ارتقاء نوعياً واستراتيجياً للجيش و«اللجان الشعبية» اليمنية، ويؤكد أن ما استشرفه ابن سلمان بتخوفه من تحول «أنصار الله» إلى «نموذج حزب الله» فات أوانه. ولئن باتت صواريخ الحزب منذ عدوان 2006 على لبنان تقيد إسرائيل وتردعها من عدوان جديد عليه، فإن المفاعيل السياسية والمعنوية وحتى الدلالات العسكرية لصاروخ الرياض وما أعقبه من رد فعل سعودي هستيري كشفت حقيقة المأزق السياسي العميق والبالغ التعقيد للقيادة السعودية، وذلك في مقابل دخول اليمن من باب منظومته الصاروخية (كشفت منذ يومين عن خط إنتاج بحري جديد اسمه «المنذب») في معادلة الردع مقابل الطيران الحربي السعودي.

ولعل الدلالة العسكرية الأبرز لصاروخ الرياض بلوغه مسافة نحو ألف كلم متر وانفجاره في مطار الملك خالد، وهي المرة الأولى التي يعترف فيها نظام الأسرة الحاكمة بتعرض عاصمته لضربة يمنية. وسواء انفجر الصاروخ بفعل اعتراض الباتريوت له في المطار، كما تدعي الرياض، أو بهدفه كما أكد شهود عيان، فإن الهدف من إطلاقه قد تحقق.

والدلالة الأخرى هي أن تراكم القدرة وتطورها عند «حزب الله» جعله في ميزان الردع قبالة العدو الإسرائيلي. أما في حالة «أنصار الله»، فإنها بدأت تتجلى وهي في طور بناء القدرة التدميرية والاستمرار. ويرجح كثيراً أنها على بعد خطوة من أن تصبح في ميزان الردع (دقة ومدى) ليشمل الأهداف الحيوية المهمة في السعودية. هذا ما أشارت إليه تصريحات القيادة اليمنية ومواقفها. وسوف يؤمن لها في المستقبل وضع معادلة الصواريخ اليمنية مقابل سلاح الطيران السعودي، فضلاً عن أن القوات اليمنية البرية تتفوق بالأصل على الجيش السعودي في العمليات العسكرية الدائرة على الحدود بين البلدين.

تجدد الإشارة إلى أن استهداف الرياض من الجيش و«اللجان الشعبية» يكشف عن إرادة صلبة وشجاعة وحكمة القيادة اليمنية، وكذلك عن حنكتها العسكرية والسياسية في اختيار توقيت مأزوم في الداخل السعودي، وهي ليلة

تراجعت معظم أسواق الأسهم الخليجية، أمس الثلاثاء، إثر موجة الاعتقالات التي تتم في السعودية، إذ كان أداء مؤشرات الأسهم في الخليج من الأسوأ في العالم مع ازدياد التوتر في المنطقة، بحسب ما نقلته وكالة «بلومبرغ». ومع ذلك، كانت الخسائر الأقل في الأسهم السعودية نتيجة دعم حكومي.

في الكويت، شهد مؤشر أسعار العقارات تراجعاً بنسبة 2,8%. وفي حين انخفض مؤشر «تداول» في السعودية بنسبة 3,1%، وهي النسبة الأكبر من بين الدول العربية، إلا أنه تمكن من خفض نسبة الخسارة ليغلق عند 0,7%. كذلك تراجعت حوالي 25 شركة عاملة في الخليج بقياس حوالي 10%، أي الحد الأقصى المسموح به يومياً. إضافة إلى ذلك، انخفض مؤشر سوق دبي المالي بنسبة 1,8%، ومؤشر بورصة قطر بنسبة 1,1%، ومؤشر بورصة البحرين لجميع الأسهم بنسبة 1%، (الأخبار)

في مجزرة جديدة

في خضم ذلك، تتجه الأنظار إلى الجلسة المقررة اليوم (بناءً على طلب السويد) لمجلس الأمن الدولي للوقوف على الأوضاع الإنسانية في اليمن، والتي يُنتظر أن يعرض خلالها مسؤول عمليات الإغاثة في الأمم المتحدة، مارك لوكوك، نتائج زيارته الأخيرة إلى اليمن، والتي قال إنها «تبعث على الصدمة». وتحمل بعض المواقف الدولية التي سبقت الجلسة المرتقبة على التفاؤل بإمكان اتخاذ المجلس موقفاً إزاء الخطوة الأخيرة التي أقدمت عليها السعودية، والتي تستهدف، من ضمن ما تستهدف، ميناء الحديدة، «العمود الفقري للعمليات الإنسانية في اليمن»، بحسب وصف الأمم المتحدة.

ويبرز من بين تلك المواقف، خصوصاً، موقف روسيا التي أعربت عن «قلقها البالغ» حيال تطورات الأحداث في اليمن، منبهة إلى أن الخطوات الأخيرة لـ«التحالف» يمكن أن تؤدي إلى «تصاعد جديد في المعارك، وارتفاع أعداد الضحايا بين المدنيين، وتدهور الأوضاع الإنسانية الحرجة»، متابعة أن «فرصة كهذه لا تتوافق مع الاهتمام بالتوصل سريعاً إلى حل، كما أنها تبعد احتمالات عودة الاستقرار والوفاق الوطني في هذا البلد».

وإلى جانب موقف موسكو، يأتي الموقف «الجري» للسويد التي شددت على لسان نائب سفيرها لدى الأمم المتحدة، كارل سكاو، على «أننا لا يمكن أن نسمح بأن يفقد العالم الانتباه (للازمة)، وينبغي علينا القيام بكل ما يمكننا فعله للمساعدة في تخفيف المعاناة». لكن تلك التصريحات «الإيجابية» تقابل بـ«تشدد» أميركي في مجازة السعودية في كل ما أقدمت عليه، أخيراً، من خطوات «ذات أبعاد هائلة» (وفق توصيف الأمم المتحدة لقرار إغلاق المنافذ).

تشدت تجلّي آخر مظاهرة، أمس، في دعوة الولايات المتحدة، الأمم المتحدة والشركاء الدوليين، إلى اتخاذ «الإجراءات اللازمة لإخضاع النظام الإيراني للمساءلة عن هذه الانتهاكات»، المقصود بها إطلاق الصواريخ الباليستية على أراضي المملكة. وقالت المندوبة الأميركية لدى الأمم المتحدة، نيكي هيلي، إن «بلادها ملتزمة باحتواء التصرفات الإيرانية المزعزعة للاستقرار، ولن تغض الطرف عن هذه الانتهاكات الخطيرة للقانون الدولي من قبل النظام الإيراني». وإزاء السردية المتقدمة التي يزداد حرص واشنطن والرياض على تثبيتها، بدا لافتاً قول الخارجية الروسية، أمس، إن «إطلاق الصاروخ (الأخير على الرياض) تبناه القادة الحوثيون، ورغم ذلك فإن السلطات السعودية تتهم طهران بالوقوف وراء هذا (العمل العدواني)»، مشيرة إلى أن إيران «ترفض هذه الاتهامات قطعياً».



حذر الصمد من أي محاولات للاعتداء على الساحل

الغذاء والوقود والأدوية». وأفاد المتحدث باسم الأمين العام للأمم المتحدة، ستيفان دوغاريك، بدوره، بأن المنظمة الدولية «أجرت خلال الساعات الأربع والعشرين الماضية اتصالات على كافة المستويات مع السعودية بشأن الأوضاع الإنسانية في اليمن»، من دون التطرق إلى نتائج تلك الاتصالات.

وإلى جانب انقطاع المساعدات، والارتفاع المتوقع في أسعار جميع السلع والمواد بعدما سجل غاز الطهي ارتفاعاً بنسبة 100%، يواجه المئات من المرضى والجرحى الذين تتطلب حالاتهم نقلهم إلى الخارج، في الشمال والجنوب على السواء، مصيراً مجهولاً، إثر حظر «التحالف» منح تراخيص لشركة الخطوط الجوية اليمنية التي أعلنت، أمس، رسمياً، تعليق رحلاتها عبر مطاري عدن وسيئون حتى إشعار آخر.